

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أمهات المؤمنين : سيرة السيدة سودة بنت زمعة

04-08-1997

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم, ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

لمحة عن حياة سودة بنت زمعة من حيث : إسلامها, هجرتها, وفاتها :

أيها الأخوة الكرام, مع الدرس التاسع من دروس الصحابييات الجليلات، مع أمهات المؤمنين، مع زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، التي كانت بعد خديجة وقبل عائشة، مع أم المؤمنين سودة بنت زمعة، هذه الزوجة التي تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام لحكمة سوف نقف عليها من خلال سيرتها .

هذه الزوجة الطاهرة أسلمت بمكة قديماً،
وهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة، وينبغي أن
نتصور: ما معنى أن يترك الإنسان بلده التي
ولد فيه؟ ما معنى أن يدع الإنسان مسقط رأسه؛
لسبب بسيط، لمضايقة يسيرة، لضغط خفيف أم
لشيء لا يحتمل، شيء لا يطاق؟ .



كانت الهجرة إلى الحبشة متنفساً للصحابة من
شدة الضغط

أيها الأخوة، الصحابة الكرام الذين أسلموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً، في أول الدعوة الإسلامية، لهم عند الله مقام كبير، لأنهم تحمّلوا، وتحملوا الشيء الكثير، حتى إن الهجرة إلى الحبشة، كانت متنفساً لهم، من شدة الضغط الذي تحمّلوه .

لو أن أحدنا سأل نفسه هذا السؤال: هل تحمّل واحد بالمليار مما تحمّله الصحابة؟ تدخل إلى المسجد؛ تصلي، وتحضر درس علم، وتقرأ القرآن، وتعود إلى بيتك آمناً، تصلي قيام الليل إذا شئت، لا أحد يعترضك، تفعل في بيتك ما تشاء، لا أحد يأخذ عليك أنك مسلم، ماذا ذاق المسلمون في جنب ما ذاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ .

أسلمت بمكة قديماً، وهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة، ومات زوجها هناك، وقد ورد أنه ما عبد الله في الأرض بأفضل من جبر الخواطر، الإنسان أحياناً يتزوج امرأةً لجمالها، وقد يتزوجها لمالها، وقد يتزوجها لدينها، وقد يتزوجها جبراً لخاظرها .

هذه الزوجة الطاهرة روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحاديث كثيرة، وروى عنها ابن عباس، وتوفيت رضي الله عنها في آخر زمان عمر بن الخطاب .

إليك قصة زوجها من رسول الله عليه الصلاة والسلام :

فمن التي خطبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ خطبتها خولة بنت حكيم، المرأة نفسها التي خطبت السيدة خديجة لرسول الله .

يروى الإمام الطبري في تاريخه أنّ خولة بنت حكيم، قالت:

((يا رسول الله ألا تتزوج؟ النبي عليه الصلاة والسلام يقول: من أفضل الشفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح))



أخواننا الكرام، الزواج جبر، فتاة، طاهرة، عفيفة، تنتظر زوجاً، تنتظر أن يطرق بابها خاطب، هكذا خلقها الله عزّ وجل، جعل فيها دافع الأمومة، أقوى دافع في الجنس البشري، دافع الأمومة، الفتاة أحياناً بخلاف ما تتصورون، طلبها للزواج ليس كطلب الزوج للزواج، شهوة الرجل حسيّة، لكن المرأة رغبته في الزواج أن تكون أمّاً، أن يخطبها خاطب، إذّاً: هي مرغوبٌ فيها، إذّاً: هي مطلوبة، لذلك:

((من أفضل الشفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح))

جميل جداً أن تتعرّف إلى أخوانك، هذا الأخ عنده بنات، فإن رأيت شاباً مؤمناً مستقيماً، طاهراً عفيفاً، دللته على امرأةٍ طيبةٍ طاهرةٍ عفيفةٍ، هذا أعظم عملٍ تفعله،

((من أفضل الشفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح))

قال تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾

[سورة النساء الآية: 85]

قالت هذا الكلام بعد وفاة السيدة خديجة بثلاث سنوات، معنى ذلك النبي عاش وحيداً، والأزواج يعرفون؛ المرأة سكنٌ لزوجها، ومن أصعب الحالات أن يفقد الرجل زوجته، والنبي عليه الصلاة والسلام بموت السيدة خديجة فقد الدّعم الداخلي، وبموت عمّه أبي طالب فقدّ الدّعم الخارجي، إذًا: ذاق النبي الوحدة، ذاق الوحشة، ذاق موت النصير، ذاق موت القريب، ذاق موت أحب الناس إليه .

((إن الدنيا دار التواء لا دار استواء ، منزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبي))

فقال عليه الصلاة والسلام:

((ومن؟ قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا، قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عانشة بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زُمعة، قد آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه .

نقطة دقيقة: الإنسان يتزوج، هذه الزوجة أقرب الناس إليك، إن لم تكن على شاكلتك ، إن لم تؤمن بما تؤمن، إن لم توقّر ما توقّر، إن لم ترجو ما ترجو، إن لم تكن على الشكل الذي يرضيك، كيف تعيش معها؟ فهذا الذي يذهب إلى بلاد الغرب، ويقترن بامرأة راق له شكلها، لكن أهلها طباعهم، عاداتهم، تقاليدهم، قيمهم، مبادئهم، ديانتهم، فكيف تستطيع العيش معها؟ .

فما من علاقة أقرب من الزوج إلى زوجته، يسمونها علاقة حميمة، أي أنها علاقة من أعلى درجات العلاقات، أيعقل أن تكون زوجتك على غير شاكلتك، تؤمن بما لا تؤمن، أو تكفر بما تؤمن، تحب ما لا تحب، ترضى بما لا يرضيك؟ مستحيل- .

قال: فاذهبي فاذكريها علي، -أي اخطبيها لي- .

فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، قالت: ثم خرجت، فدخلت على سودة، فقالت: أي سودة، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟

حقياساً على ذلك إذا كان طالب العلم إنساناً ملتزماً، مؤمناً يحب الله ورسوله، يخشى الله، يُرضي الله، يتحرى الدخْل الحلال، إنفاقه حلال، جوارحه مضبوطة، هذا إذا خطب، ينبغي ألا يتردد في الموافقة عليه، هذا مكسبٌ كبير، طالب العلم كفاءً لأية فتاة على الإطلاق. .



لا بد من التوافق حتى تسمى العلاقة الزوجية

قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك عليه، فقالت: وددت، -أي تمنيت، أرايت هذا الأدب أيضاً؟ في إنسان تعرض عليه شيء يتأبى، ومن الداخل يذوب شوقاً إليه، لكنه يتأبى لكبر فيه- قالت: وددت، ادخلي على أبي، فاذكري له ذلك .
قالت: وهو شيخٌ كبير، فدخلت عليه، فحييته بتحية الجاهلية، ثم قلت: إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أرسلني أخطب عليه سودة، قال: كفاءً كريم .
نقطة دقيقة: جاءت الرسالة، لو أن الناس يعلمون عنه شيئاً في الجاهلية قبل الإسلام لذكروه بصوت عالٍ، الأنبياء معصومون قبل النبوة، لا يستطيع أحد أن يتكلم عنهم كلمة-
قال : كفاءً كريم، فماذا تقول صاحبتك، أي مخطوبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال: ادعيها لي، فدعيت له .
قال أبوها: أي سودة، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أرسل يخطبك ، وهو كفاءً كريم، أفتحبين أن أزوجه؟ قالت: نعم، قال: فادعيه لي، فدعته، فجاء فزوجه .
طبعاً صاحب الحاجة هو الذي يأتي، هذا أدب أيضاً-

جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى أبيها، وخطبها منه، وتزوجها))

ما ذكره ابن كثير والإمام أحمد بشأن موضوع زواج السيدة سودة من رسول الله :

يروى الحافظ ابن كثير، والإمام أحمد في المسند، محاورَةً جرت في هذا الموضوع، فعن عبد الله بن عباس:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ، يُقَالُ لَهَا: سَوْدَةُ، وَكَانَتْ مُصِيبَةً،

-أي لها صبيان-

كَانَ لَهَا خَمْسَةٌ صَبِيَّةٍ أَوْ سِتَّةٌ مِنْ بَعْلِ لَهَا مَاتَ،

-هناك من يدّعي، ومن يتهم النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان مغرماً بالنساء، هذه امرأة متقدمة في السن، مُصِيبَةٌ-

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَتْ: وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ أَنْ لَا تَكُونَ أَحَبَّ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أُكْرِمُكَ أَنْ يَضْعُوَ هَوْلَاءِ الصَّبِيَّةِ عِنْدَ رَأْسِكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً،

-أي أن يمنعوا راحتك، خمسة أولاد، كان قدوةً عليه الصلاة والسلام، امرأة مسنة يتزوجها، وعندها خمسة أولاد، هي نفسها خافت أن تزوج النبي عليه الصلاة والسلام، هي نفسها خافت أن يكون أولادها عبداً على النبي عليه الصلاة والسلام-

قَالَ: فَهَلْ مَنَعَكَ مِنِّي شَيْءٌ غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ، صَالِحِ نِسَاءٍ فُرِيشِ أَخْنَاهُ عَلَى وِلْدٍ فِي صِغَرٍ، وَأَزْعَاهُ عَلَى بَعْلِ بِذَاتِ يَدٍ))

[أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس في مسنده]



فالإنسان إذا تقدّم في السن تكثُر حاجاته، لذلك الزوجات الطاهرات المخلصات: هن اللواتي يضاعفن من خدمة أزواجهن، إذا تقدّمت بهم العمر، طبعاً حينما يكون شاباً يخدمه خدمةً عالية، أما إذا تقدّمت به السن ضعفت الخدمة، فقال عليه الصلاة والسلام:

الزوجة الصالحة تخدم زوجها حين يمرض أو يهرم

((إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الْإِبِلِ، صَالِحِ نِسَاءٍ فُرِيشِ أَخْنَاهُ عَلَى وِلْدٍ فِي صِغَرٍ، وَأَزْعَاهُ عَلَى بَعْلِ بِذَاتِ يَدٍ))

[أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس في مسنده]

أي خير النساء من جمعت بين رعاية أولادها ورعاية زوجها .

هناك مشكلتان في بيوت المسلمين؛ الأولى أن الزوجة تعتني بزوجها عنايةً فائقة، وتهمل أولادها، تدعهم في الطرقات، ثيابهم غير نظيفة، أعمالهم غير مرتّبة، دراستهم متخلفة، لكنها تعتني بزوجها، لأنه مصدر سعادتها، هذا مرض .

المرض الثاني: تعنتي الزوجة بأولادها على حساب زوجها، تهمله، تهمل طعامه، وشرابه، وثيابه، كل همها لأولادها، هذا خطأ، وهذا خطأ، هذا تطرّف وذاك تطرّف، خير النساء من جمعت بين رعاية أولادها ورعاية زوجها، وقد لا تصدقون أن المرأة التي تحسن تبعل زوجها هذا العمل، يعدل الجهاد في سبيل الله، ولكن من هي هذه المرأة التي تتفهم هذا الحديث الصحيح الذي رواه النبي عليه الصلاة والسلام:

((انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من وراءك من النساء، أن حسن تبعل إحدانك لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله))

أي الجهاد في سبيل الله .

ما قاله كتاب السيرة عن خولة بنت حكيم :

كُتِبَ السيرة يقولون: خولة بنت حكيم، لم تكن تستطيع أن تكون جريئة إلى هذا الحد، لأنها تدخّلت في أخصّ خصوصيات النبي عليه الصلاة والسلام، تدخّلت في حياته الشخصية، لولا أنها رأت من الوحشة التي خيّمَت على بيت النبي، بوفاة الزوجة الصديقة العزيزة الغالية

بصراحة: الزوجة الصادقة، الوفيّة، الصالحة، موتها يهدُّ أركان البيت، والزوج الصالح الوفي، موته يهدُّ أركان البيت، فالنبي عليه الصلاة والسلام ذاق فقد الزوجة ثلاث سنوات، لأن الله جعله أسوأ حسنة، أذاقه كل شيء؛ أذاقه موت الولد، أذاقه فقد الزوجة، أذاقه زوجةً تكبره بخمسة عشر عاماً، أذاقه زوجةً صغيرة، أذاقه هجرةً من بلده إلى بلدٍ آخر، أذاقه موت أبيه، أذاقه موت أمه، حينما قال الله عزّ وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب الآية: 21]

لولا أن الله أذاقه كل شيء، لما كان أسوأ لنا في كل شيء، أذاقه الفقر:

((هل عندكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فإني صائم))

أذاقه الغنى:

((لمن هذا الوادي؟ قال: هو لك، قال: أشهد أنك رسول الله))

أذاقه القهر في الطائف:

((إن لم تكن ساخطا علي فلا أبالي))

أذاقه النصر في فتح مكة:

((ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخّ كريم، وابن عمّ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء))

النبي عليه الصلاة والسلام تحمّل من قريش أشدّ الأذى، ولا سيما بعد وفاة عمه أبي طالب، وبعد وفاة زوجته السيدة خديجة، الزوجة سكن .

أدركت هذه الصحابية الجليلة ما يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الشدائد والهموم، فأرادت أن تخفف عنه بعد ذلك بإيجاد أنيس في بيته .

أخواننا الكرام، هناك تعليق لطيف، هذا الذي يستخف بزوجته، ويحلف عليها بالطلاق لأتفه الأسباب، أو يطردها من البيت، أو يعاملها معاملة قاسية، أو يسب أباه وأمه، أو يهينها، ماذا يفعل هذا الإنسان؟ يكفر بنعمة الزوجة، يكفر بأشد النعم لصوقاً بالزوج .

هذه المرأة التي تستخف بزوجها، يحلف عليها يميناً فتنقضه، يأمرها فلا تطيعه، يهددها فتتحذّاه، هذه امرأة أيضاً تكفر بنعمة الزوج:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتُ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[أخرجه الإمام أحمد عن ثوبان في مسنده]

**((لا ينظر الله إلى امرأةٍ لا تشكر لزوجها،
وهي لا تستغني عنه))
((إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي
على زوجها))**

فالمراة إذا رعت نعمة الزوج، والزوج إذا رعى نعمة الزوجة، كانت حياتهما سعيدة، لذلك أنا من خلال ما يُعرض علي من قضايا،



ومشكلات بين الزوجين، أعجب أشدّ العجب، يحلف عليها يميناً بالطلاق، ألا تزور أختها، لا يحلو لها إلا أن تكسر يمينه، وتتحذّاه، وتزور أختها، تجلس عندها ساعة، وقع الطلاق، يتحرّك الزوج من شيخ إلى شيخ من أجل فتوى، ماذا أفعل؟ .

لهذه الدرجة زوجك هينٌ عليك، حلف عليك ألا تزوري أختك، ماذا يمنع أن تنفذي أمره؟ ماذا يمنع أن تمننعي عن زيارة أختك؟ الشيء العجيب بين كل مئة يمين طلاقٍ مقيّد غير مُطلق، أي يقول: إن فعلت كذا فأنت طالق، بين كل مئة طلاق تسعة وتسعين بالمئة من النساء اللواتي يحلف أزواجهن عليهن يمين طلاق ينقضنه، هذا كفرٌ بنعمة الزوج .

لماذا جعل الله الطلاق بيد الرجل؟ لأن المرأة عاطفية، لسبب تافهٍ تطلب الطلاق، لكن الزوج يجب أن يفكر في الطلاق، بعد دراسة طويلة جداً، وبعد بحث .

انظر إلى هذه المعاملة الراقية التي كانت تتعامل بها السيدة سودة مع زوجها النبي :

تتم الخطبة، ويعقد الزواج، ويروي الطبري عن هذا الزواج الشيء الكثير، تُزف العروس الوقور إلى أحبِّ الناس إليها، لتخفف آلام الفرقة عن نفسه الشريفة، ولتملاً بيته أنساً بعد وحشة، ولتحمل معه بعض أعباء الحياة، ولتقوم ببعض ما كانت تقوم به الزوجة الراحلة العزيزة خديجة، لقد كانت أم المؤمنين سودة ذات روحٍ مرحةٍ مشرقة .

فالأمر قصير، الدُعابة، واللفظ، والطرفة، والوجه الطليق، والبسمة، والمرح في البيت مطلوب جداً، فهناك أب إذا دخل على أولاده وعلى أهله كان عندهم عيد؛ يهللون، يفرحون، يتنافسون ليصلوا إليه، وهناك أبٌ إذا دخل البيت كان عبناً على أهل البيت .



قال: كانت هذه السيدة، ذات روحٍ مرحةٍ مشرقة، تسجّر نفسها الراضية المرضية لإرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإدخال السرور على نفسه الكريمة .

-الحقيقة: الملاحظ أن المرأة غير المنضبطة، أن المرأة غير ملتزمة، أن المرأة المنقطعة عن الله، أسوأ ما عندها لزوجها؛ الكلام القاسي، والنظرة المتجففة، والهيئة التي لا

ترضي، إهمال شأنه، إهمال ثيابه، إهمال زينتها، قسوة كلامها، إهمال شؤون زوجها، فإذا أرادت أن تلتقي بالآخرين؛ تلطفت، وتزيّنت، وتعطّرت، ولبست أحسن ثيابها، وكانت لطيفةً إلى أعلى درجة، هذه امرأةٌ لا يحبها الله عزَّ وجل، لأن أسوأ ما فيها لزوجها، وأحسن ما فيها لغير زوجها .

كانت هذه الزوجة الوفية سودة، تحاول أن تدخل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم السرور، فكانت تغتم كل مناسبة لتضحكه وتسره، لعلها بذلك تقدم بعض الواجبات التي أنيطت بالزوجات نحو أزواجهن وأرباب بيوتهن-

من أمثلة ذلك: ما رواه ابن سعدٍ عن الأعمش عن إبراهيم، قال:

قالت سودة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صَلَّيتْ خَلْفَكَ اللَّيْلَةَ، فَرَكَعْتَ بِي حَتَّى أَمْسَكْتَ بِأَنْفِي مَخَافَةَ أَنْ يَقْطُرَ الدَّمُ، يَبْدُو أَنَّ النَّبِيَّ أَطَالَ الرُّكُوعَ، فَضَحَكَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَكَانَتْ تَضْحَكُهُ بِالشَّيْءِ أحياناً))

انظر ما قال كتاب السيرة عن هذه السيدة :

قال بعض كُتَّابِ السيرة: ربما كانت هذه الزوجة المسعدة لزوجها تمازحه بكلماتٍ، ويعظها بكلمات . من ذلك ما رواه ابن المبارك أن سودة، قالت: يا رسول الله! إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون، حتى تأتينا أنت، فقال لها: لو تعلمين علم الموت يا بنت زمعة، لعلمت أنه أشد مما تقدرين عليه)) أي نوع من أنواع الدعابة، نوع من أنواع الطرافة بين الزوج وزوجته . وقال بعض كُتَّابِ السيرة: كانت رضي الله عنها مع حبها للمرح والمزاح، كريمة جوادة ، لا يأتيها مالٌ إلا سارعت بإنفاقه على أهل ذي الحاجة

فقد روي بسندٍ صحيح عن محمد بن سيرين، أن عمر بعث إلى سودة بغرارةٍ من دراهم، فقالت:

((ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: في غرارةٍ مثل التمر، ففرقتها))

أيها الأخوة، مما يؤثر عن هذه الزوجة الفاضلة، أنها كانت حريصةً كل الحرص على إرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتكريمه، فكانت إذا مازحته، لم تُقل ذلك من هيبتها له، وتوقيرها إياه شيئاً .

بالمناسبة: أنا لا أتمنى أن ترفع الكلفة بين الزوجين أبداً، إن رُفعت كلياً شقي الزوجان، لا بدَّ من حدٍ أدنى من الكلفة بين الزوجين، أما إذا رفعت الكلفة، واستباح كل طرفٍ أن يكثر المزاح مع الطرف الآخر، حيث يقلل من هيبتته، كانت مشكلة .

والحقيقة: المزاح كالمح في الطعام، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، فالذي يمزح ينبغي أن يمسك بميزانٍ دقيقٍ جداً، إنه إن أكثر المزاح، فقد هيبتته، وهناك مزاح يجرح، ومزاح فيه إهانة، ومزاح مؤلم، هناك مزاح، لكنه قليل ونادر؛ لا يؤدي أبداً، ولا يجرح، ولا يُهين، ولا يحجّم، ولا يخجل، هذا هو



المزاح بين الزوجين كالمح قليله أو كثيره يفسد

المزاح المسموح به، هناك من يمزح مع زوجته بالانتقاص من شكلها، بإبراز عيوبها، بتكبير عيوبها، بالتعريض بأهلها، هذا ليس مزاحاً، بل هذا هدْمٌ للعلاقات بين الزوجين .

إليك حديث السيدة عائشة عن السيدة سودة :

في صفة لطيفة بهذه الزوجة، أنها كانت إذا أخطأت عادت سريعاً إلى صوابها، تقول السيدة عائشة:

((إذا أصابتها الحدة، فاعت سريعاً، فتصلح نفسها مما نابها))

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ، أَنْ أَكُونَ فِي مَسَاحِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبُرْتُ، جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أي حينما تخطئ تسارع إلى الإصلاح .

ما الذي كان يسعد السيدة سودة، وما الذي فعلته حتى ترضي عنها رسول الله ؟

أيها الأخوة، هناك نقطة دقيقة جداً في هذا الزواج، كان رضاها برسول الله صلى الله عليه وسلم زوجاً، يغمرها سعادةً وهناءً، فلا تراها إلا وبهجة السرور تملو وجهها الكريم، كان يسعدها أن ترى النبي صلى الله عليه وسلم، يبتسم من مشيتها الممتائلة من ثقل جسمها، فوق ما كان يأنس عليه الصلاة والسلام إلى ملاحظة نفسها وخفة ظلها، حينما تسمعه عباراتٍ من مزاحها، فكانت إذا مشت أمامه، تمايلت يمنةً ويسرة، فكان عليه الصلاة والسلام يبتسم من مشيتها، وظلّت هذه الزوجة الصالحة بهذه النفس الرضية، تقوم على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة وجودها في مكة .

وبعد أن هاجر النبي إلى المدينة هاجرت هي أيضاً إليها، وبقيت هي الراعية لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الهجرة، إلى أن جاءت عائشة بنت أبي بكرٍ زوجةً للرسول وأماً للمؤمنين . طبعاً لمجرد أن تكون المرأة زوجةً لرسول الله، هذا شرفٌ عظيم، وهذا مقامٌ كريم، وهذه مرتبةٌ عالية، تتفطّع دون بلوغها أعناق الطامحين، فشيء كبير جداً: أن تكون امرأةً أم المؤمنين، أن تكون امرأةً زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها الأخوة، لكن هذه المرأة المسنة الكبيرة، التي عندها خمسة صبية، كانت تعلم أنها لا تُرضي النبي بشكلها، لكنها ارتقت إلى مستوى رفيع تطمح إليه، بحكمتها ولذكاؤها أفسحت للعروس الشابّة، -السيدة عائشة- المكان الأول في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرصت أشد الحرص أن تتحرّى مرضاة العروس الجديدة، وأن تقوم على خدمتها، وأن تسهر على راحتها .

أرأيت إلى هذا الوفاء؟ هذه حكمة، هي نالت مبتغاها من زواجها من النبي؛ أصبحت أم المؤمنين، أصبحت زوجة رسول كريم، هذه الشابة التي تزوجها تحتاج إلى رعاية، تحتاج إلى عناية، اعتنت بها، وخدمتها، وأرشدتها، وعلمتها، وبيّنت لها كي تُرضي رسول الله، وكي تُرضي عائشة رسول الله، وكي يرضى رسول الله عن سودة بهذه الخدمة .

ثم خصّ عليه الصلاة والسلام كل زوجةً ببيتٍ خاص، ولما وفدت زوجاتٌ أخريات على بيوتات النبي فیهن حفصة، وزينب، وأم سلمة، وسواهن، لم تتردد أم المؤمنين سودة في إثارة عائشة بإخلاصها، ومودتها، وإن لم تظهر ضيقاً بتلك الزوجات .

تجد امرأةً متقدّمةً في السن، لم تنجب أولاداً، زوجها محروم من الأولاد، فأراد زوجها أن يتزوج امرأةً تنجب له أولاداً، دون أن يضحي بها، دون أن يتخلّى عنها، هي في مكانتها الرفيعة العلية، هناك زوجاتٌ لا يرضين بذلك، ويبتعدن عن أزواجهن، ويعشن وحدهن، هل هذا هو العقل؟ هذا موقف .

فقد دنا منها النبي عليه الصلاة والسلام، فبكت، قالت:

((يا رسول الله! هل غمصت عليّ في الإسلام؟))

-أي هل أخطأت في الإسلام؟-

قال: اللهم لا، قالت: يا رسول الله! يومي لعائشة في رضاك،

-أي أنا أريد أن أبقى زوجةً لك، أريد أن أحظى هذا الشرف العظيم، ولا مآرب لي في الرجال، أريد أن أبقى معك لأنظر إلى وجهك-

فو الله ما بي ما تريد النساء، ولكني أحب أن يبعثني الله في نساءك يوم القيامة))

أي أنا كل مطلبي أن أنظر إليك، أن أكجّل عيني بمرآك، وأن أكون زوجتك هكذا إلى يوم القيامة، لأحظى بهذا الشرف، فهي شعرت أنها عبء، وأنها تحول بينه وبين سعادته، وأنه تزوجها جبراً لخاطرها، وأنها مصيبة، وحينما توهمت: أنها إذا تركت رسول الله، تسعده بتركها، ندمت، قالت: لا، أنا أبقى معك، ولكن يومي لعائشة .

والنبي بالعدل، كلّم يعلم أن التعدد من شروطه العدل التام بين الزوجات، العدل في الإنفاق، والعدل في السكنى، والعدل في المبيت، أما حينما هي تسامح عن طيب خاطر، قالت: يومي لعائشة، وهكذا حافظت أم المؤمنين سودة على ودّها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعلى قُربها منه، وعلى صحبته في الدنيا والآخرة .

أيها الأخوة, فالعقل بالمرأة شيء رائع جداً، امرأة حكيمة عاقلة، تعرف حدودها، تعرف حجمها، تعرف إمكاناتها، لا تكن عبئاً على زوجها، همها إرضاء زوجها، همها إدخال السرور على قلبه، هكذا كانت السيدة سودة بنت زُمعة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وجعلها قدوةً لنساء المسلمين .